

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي لعلم الاجتماع

ظهور ونشأة المصطلح:

نشأ علم الاجتماع كغيره من فروع المعرفة بين أحضان الفلسفة، وظل الفلاسفة يشيرون الى ظواهره وموضوعاته من خلال تناولهم لقضاياهم الفلسفية، وبقي هذا شأنه حتى استقل عنها، ووصل الى مرتبة العلم المستقل، له مجالاته الخاصة، وقوانينه، ومناهج دراسية علمية قائمة على الملاحظة والتجربة ووضع الفروض ومحاولة اختبارها.

وقبل التطرق الى تعريف علم الاجتماع واشكالياته لا بد من الاشارة الى الوضع الذي أنتج هذا العلم في العالم الغربي، فقد كانت أوروبا في القرون الوسطى تقوم على قاعدتين، الأولى صلابة النظام الاقطاعي، والثانية سيطرة التفكير الديني أي رجال الكنيسة، وفي القرن الخامس عشر بدأت تتمزق هاتان الدعامتان، وظهرت دول مثل فرنسا واسبانيا وانجلترا وغيرها، وتخلت الشعوب عن اللاتينية لحساب اللهجات المحلية والقومية، وتزايدت طرق اكتساب المعارف خصوصا مع اختراع آلة الطباعة، وتوسعت التجارة البحرية، وبذلك برزت مظاهر النهضة الأوروبية الحديثة، وقامت هذه النهضة بالاحتكاك بالحضارة الاسلامية، والعودة للتراث الاغريقي الذي يتلاءم مع الفكر التحرري.

أدرك "سان سيمون saint simon" (1760-1825) ومن بعده "أجوست كونت A.comt (1798-1857) ضرورة إيجاد علم جديد يدرس الظواهر الاجتماعية بطريقة علمية دقيقة، أسماه الأول "الفيسيولوجيا الاجتماعية"، وأسماه الثاني في بداية تشكيله "الفيزياء الاجتماعية"، وهي تسمية استخدمها توماس هوبس T.Hobbes (1588_1679) من قبله بكثير¹، وهي التسمية نفسها التي استخدمها البلجيكي "أدولف كتلي Adolphe Quételet" (1796-1874) في دراسته الاحصائية للمجال الاجتماعي، ووضعها عنوانا لكتابه: "الفيزياء الاجتماعية physique sociale"².

وفي هذا السياق كتب "أجوست كونت" سنة 1820 يقول: "نحن الآن نملك فيزياء فلكية، وفيزياء أرضية، وفيزياء آلية أو كيميائية، كما أن لدينا فزياء نباتية وفيزياء حيوانية، لكننا ما زلنا في حاجة إلى فزياء أخرى وأخيرة تتعلق بالمجال الاجتماعي ليكتمل نظام معرفتنا بالطبيعة، وأقصد الفيزياء الاجتماعية، إنها العلم الذي يدرس الظاهرة الاجتماعية بطريقة موضوعية، الروح التي ينظر بها لظواهر الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفيسيولوجيا، أي أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة"³.

¹ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 17
² خواجه عبد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2012، ص110.
³ خواجه عبد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، ص110

كما أطلق كارل ماركس على هذا العلم اسم "علم المجتمع Science of society" وكان ذلك بعد تسمية أوجوست كونت الذي اقترح تسمية جديدة لمشروعه العلمي الجديد كي يكون مختلفا شكلا ومضمونا عن مقترح "كيتلي"، بذلك ظهرت هذه الكلمة "علم الاجتماع sociologie"⁴، بعدما كانت في السابق الفيزياء الاجتماعية.

ثم تبع ذلك "جيدنجر Giddinge" الذي وافق على تسمية "كونت" مع تعديله ليكون الاسم "علم الاجتماع الاستقرائي Inductive Sociology" وسار العالم الفرنسي "رينيه مونييه R. Maunier" على نفس الطريقة فوافق على تسمية "كونت" مع اقتراحه تعديل الاسم ليكون علم الاجتماع المقارن⁵ .Conpartive Sociology.

وسبقهم جميعا المفكر العربي عبد الرحمن ابن خلدون بأربعة قرون في كتابه "العبر" الذي عرف بعد ذلك باسم "مقدمة ابن خلدون"، وفي هذا الكتاب أطلق على هذا العلم اسم "العمران البشري" أو الاجتماع الانساني، فساهم في تطوير علم الاجتماع في العالم العربي، وأدرك أنه لا بد من منهج يبين الصادق من الكاذب من الأخبار التاريخية، ومن ثم كانت مقدمته التي يناقش فيها طبائع العمران البشري، وقوانين المجتمع الانساني، فلقد عالج ابن خلدون في هذه المقدمة معظم القضايا والمشكلات التي تعالج حتى الآن في إطار علم الاجتماع، لكن عمل ابن خلدون لم يكتب له الاتصال والاستمرار، ذلك لأنه قد واكب سقوط الحضارة العربية والاسلامية وصعود الحضارة الغربية، يضاف إلى ذلك الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت تعرف المفكرين الغربيين على أعمال ابن خلدون وانجازاته، ولذلك فإن نشأة علم الاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق⁶.

وكانت النشأة الغربية لعلم الاجتماع على يد "أوجست كونت" مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت بحيث نستطيع أن نقول أن علم الاجتماع الغربي بكافة اتجاهاته وفروعه النظرية قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القديم إلى النظام الجديد⁷.

وبالتالي فكلية "السوسيولوجيا أو علم الاجتماع sociologie" ظهرت على يد الفرنسي "أوجوست كونت" سنة 1830 في الدرس السابع والأربعين (47) من كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية cour de philosophie positive" فلفظة sociologie مكونة من شقين:

Socio: اشتقت من الكلمة اللاتينية Socius، التي تعني: المرافق (Compangnon).

⁴ خواجه عيد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2012، ص110.

⁵ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 17

⁶ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دس، ص71

⁷ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دس، ص71

Logie: اشتقت من الكلمة الإغريقية Logos التي تعني: الخطاب أو العقل.

وباجتماع الكلمتين نحصل على العلم الذي يهتم بالعلاقة الموجودة بين فردين فأكثر⁸.

وبذلك يكون مفهوم علم الاجتماع هو علم المجتمعات البشرية، أو علم دراسة مجتمع الإنسان أو دراسة المجتمع والفرد والجماعة، أو دراسة الظواهر أو الوقائع أو الحقائق أو العمليات الاجتماعية، في ضوء رؤية علمية وضعية وتجريبية، وبعد ذلك استقل علم الاجتماع عن الفلسفة مع إميل دوركايم Émile Durkheim، بعد صدور كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) سنة 1895م⁹.

وهكذا يتضح أنه هناك خلاف كبير حول تسمية علم الاجتماع، رغم ما أشرنا إليه من أن تسمية "أوجست كونت" قد استقرت حتى يومنا هذا، وانتشرت في سائر الأوساط العلمية، ويرجع هذا الخلاف من ناحية إلى أن كل تسمية أطلقت على علم الاجتماع اعتمدت على تصور كل عالم من العلماء لموضوع العلم¹⁰.

فنجد أن "سان سيمون" مثلاً تصور أن موضوع هذا العلم هو دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية على نفس النحو الذي تدرس به العلوم الطبيعية ووظائف الظواهر الطبيعية، من هنا كان تفضيله لتسمية "الفيسيولوجيا الاجتماعية"، كما أن كارل ماركس قد تصور أن موضوع هذا العلم هو دراسة البناء الاجتماعي للمجتمع في صورة كلية، ولذلك رفض تسميته بعلم الاجتماع وأطلق عليه علم المجتمع، ومن ناحية أخرى فقد كان لدى البعض الآخر تصور معين لمنهج علم الاجتماع، فقد اعتقد جيدجيز أن المنهج الذي يجب اتباعه في هذا العلم هو المنهج الاستقرائي الذي يتدرج فيه البحث من دراسة الملاحظات الجزئية للظواهر إلى التوصل إلى تعميمات تنطبق على عدد كبير من الظواهر الفردية، بمعنى انتقال الباحث من الخاص إلى العام، أو من الجزئي إلى الكلي أو من البسيط إلى المركب، ومن هنا فإنه يفضل إطلاق اسم علم الاجتماع الاستقرائي، أما العالم رينيه مونيه فقد كان يعتقد أن المنهج المفيد في الدراسات العلمية الاجتماعية هو المنهج المقارن الذي يتبع الوحدة، وكذلك فإن المقارنة في رأيه مرحلة ضرورية سابقة على التفسير، ومعنى ذلك كله أن الاختلاف في التسمية كان يرجع بالدرجة الأولى إما في تصور معين لمنهج هذا علم، وكان كل من العلماء يريد أن يكون هذا التصور متضمناً في التسمية ذاتها¹¹.

⁸ خواجه عبد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، ص111.

⁹ جميل حمداوي، أسس علم الاجتماع، ط1، 2015، ص6

¹⁰ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 17

¹¹ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 18.

مفهوم علم الاجتماع:

قدم علماء الاجتماع والباحثين والمختصين في هذا العلم مجموعة من التعاريف نذكر منها:

أوجوست كونت: "العلم الذي يدرس النظم الاجتماعية على الحالة التي بدت فيها، والتطورات حدثت لها فيما بعد".

ايميل دوركايم: "علم دراسة النظم الاجتماعية".

رونيه مونييه: "الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية حسب ما تسمح به مشاهدتنا في الزمان والمكان"

ماكس فيبر M. Weber: "علم دراسة الأفعال الاجتماعية"¹²

كما قدم **ماكس فيبر Max Weber** تعريفا عاما لعلم الاجتماع على أنه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي Social action من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمجرى هذا الفعل ونتائجه¹³.

عرفته **مادلين غرافيتس M.Grawitz** قائلة: "علم الاجتماع هو دراسة الواقع الاجتماعي"¹⁴

عرفه **أنتوني غيدنز** أنه: "العلم المعني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الانسانية"¹⁵.

كما عرف على أنه العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بهدف الكشف عن القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في تردها أو اتجاهها أو اختفائها

هو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس، ولما يترتب على هذه العلاقات من آثار¹⁶

علم الاجتماع هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية او النظم الاجتماعية، أو الانسان في علاقته بالبيئة والمجتمع أو غير ذلك¹⁷.

¹² خواجه عبد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، ص 111.

¹³ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 19-20.

¹⁴ خواجه عبد العزيز، أساسيات في علم الاجتماع، ص 111.

¹⁵ أنتوني غيدنز، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة: فايز الصباغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص47.

¹⁶ محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2007، ص07.

¹⁷ محمود عودة، أسس علم الاجتماع، ص 19

موضوع علم الاجتماع

يندرج علم الاجتماع ضمن العلوم الإنسانية بصفة عامة، والعلوم الاجتماعية بصفة خاصة، والهدف الأساس الذي يسعى إليه هو دراسة المجتمع الإنساني بصفة عامة، ودراسة التنظيمات والجمعيات والجماعات والمؤسسات السياسية التي تنتمي إليها أو تشكلها جماعة من الأفراد بصفة خاصة، بمعنى أن علم الاجتماع يدرس الإنسان في حضن المجتمع، كالأشطة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية¹⁸.

من حيث الموضوع ذهب ابن خلدون إلى أن موضوع هذا العلم هو العمران البشري بما يتضمن من حوادث اجتماعية، أو وقائع اجتماعية تتصل بجميع أوجه النشاط الانساني، فلإنسان نشاطه الديني والأخلاقي والعائلي والاقتصادي والثقافي وهذه كلها أمور يدرسها هذا العلم.

أما أوجست كونت فقد اهتم بتعريف الظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم، ولكنه لم يفعل ذلك بالنسبة لعلم الاجتماع، لأنه تصور أن هذا العلم يدرس الظواهر التي لا تدرسها العلوم الأخرى والسابقة عليه في الظهور، ولذلك فإن موضوع هذا العلم عنده هو الإنسانية بأسرها، لأن كل الظواهر الإنسانية هي ظواهر اجتماعية بالدرجة الأولى.

وعلى العكس من ذلك رأى هيربرت سبنسر أن علم الاجتماع يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة، والضبط الاجتماعي، والعلاقة بين النظم، وأن يقارن بين المجتمعات المختلفة من حيث نوعها وتطورها، كما يهتم بالبناء الاجتماعي، والوظائف الاجتماعية في المجتمع بصفة عامة.

وقد جعل "اميل دوركايم Émile Durkheim من الظواهر الاجتماعية موضوعا رئيسيا لعلم الاجتماع، وحاول تحديد الخواص التي تميز هذه الظواهر عن غيرها من الظواهر الطبيعية والانسانية، وقد رأى أن لهذا العلم بالضرورة فروعاً تتوازي مع الموضوعات التي يدرسها، والمجالات التي يهتم بها¹⁹.

فعلماء الاجتماع يحددون موضوع علمهم بالظواهر الاجتماعية التي تظهر نتيجة لتجمع الأفراد معاً، وتفاعلهم مع بعضهم البعض، ودخولهم في علاقات متبادلة، وتكوين ما يطلق عليه الثقافة المشتركة، إذا يتفق الأفراد على أساليب معينة في التعبير عن أفكارهم، كما أنهم يتفقون على قيم محددة، وأساليب معينة في الاقتصاد والحكم والأخلاق وغيرها.

¹⁸ جميل حمداوي، أسس علم الاجتماع، ط1، 2015، ص7

¹⁹ عبد الهادي محمد الوالي، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2002. ص 19-20.

وتبدأ الظواهر الاجتماعية بالتفاعل بين شخصين أو أكثر، والدخول في علاقات اجتماعية، وحينما ندوم هذه العلاقات وتستمر تشكل جماعات اجتماعية، وتعد الجماعات الاجتماعية من المواضيع الأساسية التي يدرسها علم الاجتماع.

وهناك موضوع آخر يدرسه علم الاجتماع يتمثل في العمليات الاجتماعية كالصراع، والتعاون، والتنافس والتوافق والترتيب الطبقي والحراك الاجتماعي، وهناك أيضا الثقافة التي تعرف بأنها: "الكل الذي يتألف من قوالب التفكير، والعمل في مجتمع معين".

كما أن التغيير في الثقافة وفي البناء الاجتماعي أحد ميادين الدراسة في علم الاجتماع، كما أن هناك النظم الاجتماعية وهي الأساليب المقننة والمقررة للسلوك الاجتماعي.

وكذلك الشخصية وهي العامل الذي يشكل الثقافة ويتشكل من خلالها، وتدل المؤلفات التي تُولف في علم الاجتماع وأيضاً اهتمامات علماء الاجتماع البارزين على أن الموضوعات الأساسية هي باختصار كما يلي:

1_ التحليل الاجتماعي ويشمل: الثقافة والمجتمع ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

2_ الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية وتشمل:

_ الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية.

_ شخصية الفرد، الجماعات، المجتمعات المحلية "الحضرية والريفية"، الروابط والتنظيمات، السكان، المجتمع.

3_ المؤسسات الاجتماعية الأساسية وتشمل: الأسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، الدين، التعليم، الرعاية الاجتماعية، المؤسسات التعبيرية والجمالية.

4_ العمليات الاجتماعية الأساسية وتشمل: التمايز والطبقات، التعاون والتلاؤم والتماثل، الاتصال، الصراع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، الانحراف "الجريمة والانتحار.."، التكامل الاجتماعي، التغيير الاجتماعي²⁰.

²⁰ أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص15.

خصائص علم الاجتماع

يتسم علم الاجتماع بخصائص أساسية وهي:

_ علم الاجتماع علم تجريبي يقوم على الملاحظة وإعمال الفكر في الظواهر الاجتماعية، لا على البحث في مسائل ميتافيزيقية (علم ما بعد الطبيعة)، كما أن نتائجه ليست تأملية بل تفسر العلاقات بين موضوعات البحث الاجتماعي تفسيراً علمياً.

_ علم الاجتماع علم تراكمي، بمعنى أن النظريات الاجتماعية الجديدة تستند على نظريات أخرى سابقة عليها.

_ علم الاجتماع ليس علماً أخلاقياً، بمعنى أن عالم الاجتماع لا يسأل عما إذا كانت الأفعال الاجتماعية خيراً أم شراً، ولا يصدر أحكاماً أخلاقية، ولكنه ينشد تفسيرها²¹.

²¹ أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص27.